في ضوء الهدي النبوي «الحلقة الأخيرة»

الحـــد مـــن ظـاهـرة الطـلاق

د. عماد عمر خلف الله أحمد

الحد من ظاهرة الطلاق .

أولاً: حسن الاختيار:

الزواج من أهم الأمور التي يسعد بها الإنسان، ويتمثل ذلك في العملية الجنسية، وهي الشي الذي يتحكم أكثر من سواه في إسعاد غالبية الرجال والنساء أوإشقائهم، ولا بد أن يكون الاختيار على هدي وبصيرة، ولا بد لأهل الخاطبين أن يدققوا ويتحروا، خاصة السؤال عن الخاطب وأخلاقه وتعامله، ولا ننخدع بالمال ولا الجاه بدون الدين والأخلاق، والزواج السعيد ينبنى على ثلاثة أصول . بعد الدين والخلق . لا بد أن تكون مجتمعة حتى يكون الزواج سعيدا:

الأصل الأول: التوافق الفكري (التفاهم): وهو أن يكون مستوى تفكير الزوجين متقاربا ، لأن ذلك أدعى للمحبة والإلفة ، والتفاهم بينهما ، فلو تزوج رجل أمي امرأة جامعية مثلا لم تكن حياتهم الزوجية سعيدة ، للفارق بين فكره وفكرها أو تزوج مسلم بوثنية أو بوذية.

الأصل الثاني: التوافق الاجتماعي: المرتبة الاجتماعية لها أثر في الحياة الزوجية ، سيما وأن المرأة تريد أن يكون زوجها ذا مكانة مرموقة في المجتمع ، فلو تزوج مثلا خفيرا في مستشفى بأخصائية في تلك المستشفى ، لم تكن حياتهم الزوجية سعيدة ، فلو كانت المرأة أعلى من زوجها في المرتبة الاجتماعية لأدى ذلك إلى التعالي علية وحصل النشوز الذي يعكر صفو الحياة الزوجية .

الأصل الثالث: التوافق الجنسي: ونعني بالتوافق الجنسي توافق الإنزال . أي اتحاد قذق المني من الرجل والمرأة في لحظة واحدة . وعندنا في غالبية الدول التي يجرى فيها الختان الفرعوني ينعدم هذا الأصل الثالث ، لأن أهم عضوء يعمل على التوافق الجنسي بين الزوجين يتم بتره وهو بظر الأنثى ، لذا نجد غالبية الدول التي بها ختان فرعوني تكثر فيها المشاكل الزوجية وحالات الطلاق.

وعلى الزوجين أن يدرس أحدهما الآخر جسديا وروحيا وجنسيا، ويجب ألا تشعر الزوجة أو الزوج بأدنى خجل أو خوف من مناقشة المسائل الجنسية مع الطرف الآخر. وإن التوافق الجنسي فن دقيق يحتاج إلى فهم سائر الفنون، ويجب أن يدرسه الزوج والزوجة لتحقيق أقصى فائدة من اللقاء الجنسي.

لذلك لو اختل أي أصل من هذه الأصول لم تكن الحياة الزوجية سعيدة لذا علينا أن نراعي هذه الأصول، خاصة الآباء عليهم ألا يجبروا بناتهم على الزواج ممن لا يرغبن فيه لأن البنت هي التي ستعيش معه.

ثانياً: إتباع المنهج الشرعي في علاج المشكلات الزوجية.

لاشك أن كل شراكة بين اثنين يحصل فيها الخلاف والنزاع، ولكن ما من مشكلة وخلاف إلا وله حل ؛ إذا جلس الطرفان وتناقشا بكب هدوء وتروي، ومن تلك الشراكات الحياة الزوجية ، فهي شراكة بين الرجل والمرأة، وفيها أيضاً تحصل المشكلات، والشقاق والخلاف، فإذا حصل ذلك فعلى الزوجان، أن يحصرا المشكلة في أضيق نطاق ما أمكن، فقبل وقوع الطلاق جعلت الشريعة الإسلامية علاجاً ناجعاً لهذه المشكلات ، ومن كبرى المشكلات في الحياة الزوجية؛ نشوز الزوجة وهو إذا استعصت على بعلها وأبغضته، فإذا حصل النشوز جاءت الشريعة الغراء بمراحل العلاج ،

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : (... ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت) يفهم من هذا الحديث أنك تضربها في حالة النشوز بعد الوعظ والهجر ولكن تجنب ضرب الوجه ، ومن خلال الآية والحديث يمكن تفصيل العلاج على النحو التالي:

الإجراء الأول: الوعظ والإرشاد:

على الرجل الذي شعر بنشوز زوجته وتعاليها عليه أن يتروى في علاج هذه المشكلة ولا يتعجل ، بل عليه أن يسلك السبيل القويم الذي بينه الله تعالى في كتابه وبينه رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته، وعليه أن ينصح هذه الزوجة الناشز بالتي هي أحسن ويبيّن لها عظيم فضله عليها، وبيّن لها أنه جنتها ونارها، فعن أبي هريرة ت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا صلّت المرأة خمسها وحَصّنت فرجها وأطاعت بعلها، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت) ولكن العظة قد لا تنفع. لأن هناك هوىً غالباً، أو انفعالاً جامحاً، أو استعلاء بجمال. أو بمال. أو بمركز عائلي .. أو بأي قيمة من القيم. تنسي الزوجة أنها شريكة في مؤسسة، وليست ندا في صراع أو مجال افتخار!.

الإجراء الثاني: الهجر في المضجع:

والمضجع موضع الإغراء والجاذبية، التي تبلغ فيها المرأة الناشز المتعالية قمة سلطانها. فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء ، فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعتز بها. وكانت – في الغالب – أميل إلى التراجع والملاينة، أمام هذا الصمود من رجلها، وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه، في أحرج مواضعها! .. على أن هناك أدبا معينا في هذا الإجراء .. إجراء الهجر في المضاجع ..

وهو ألا يكون هجراً ظاهراً في غير مكان خلوة الزوجين .. لا يكون هجرا أمام الأطفال، يورث نفوسهم شراً وفساداً .. ولا هجراً أمام الغرباء يذل الزوجة أو يستثير كرامتها ، فتزداد نشوزا. فالمقصود علاج النشوز لا إذلال الزوجة ولا إفساد الأطفال! .. وكلا الهدفين يبدو أنه مقصود من هذا الإجراء .. ولكن هذه الخطوة قد لا تفلح كذلك .. فهل تترك المؤسسة تتحطم؟ إن هناك إجراء – ولو أنه أعنف – ولكنه أهون وأصغر من تحطيم المؤسسة كلها بالنشوز.

الإجراء الثالث: الضرب:

أمّا الضرب فقد شرعه الله علاجاً للمشكلة، ولابدّ هنا من وقفة عند هذا العلاج، فقد ذكره القرآن الكريم في معرض ذكر وسائل إصلاح العلاقة بين الزوجين، فإذا علمنا أنه سيزيد الخلاف شدّة ويباعد ما بين الزوجين أكثر فأكثر، فإن الضرب في هذه الحالة لا يكون مشروعاً. وحتّى في الحالة التي يجدي فيها الضرب، فإنه لم يُشرّع للانتقام، ولا ليروي الزوج المفجوع في علاقته مع زوجته غليله، في مخلوق جعله الله تحت إمرته.

ولكن السنة بيّنت أن الضرب مقيد بأن لا يكسر عظماً ولا يشج لحماً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته بالنساء في خطبة حجة الوداع: (واضربوهن ضرباً غير مبرح). والضرب غير المبرّح الذي يكون في حق الزوج كالضرب بالسواك ونحوه، فقد روى ابن جرير عن عطاء قال:» الضرب غير مبرّح بالسواك ونحوه «، ومثله عن ابن عباس رَضي الله عنهما: « ضرباً غير شائن.

ثالثا: تدخل الأهل في الإصلاح بين الزوجين.

فإذا عرف الزوج مسبقاً ممّا يعلم من نفسيّة زوجته واستعدادها، أن ضربها لا يفيد في إصلاحها، بل قد يزيد النار ضراماً، يفضل أن يتدخل الأهل في علاج المشكلة، قبل تحكيم الحكمين، وقبل أن يبلغ السيل الزبى، فيتدخل الأب أو الأخ الأكبر، فيجلس مع الزوجين ويسمع كلامهما، فيخطئ المخطئ ويرده إلى رشده وصوابه، فإن لم يحصل العلاج المطلوب فعليه ألا يتعجل الطلاق وأن لا يلجأ إليه بل يتجاوزه إلى الخطوة التالية ألا وهي التحكيم ، عبر حكمين أحدهما من طرف الزوج، والآخر من طرف الزوجة،

حيث توضع أمامهما المشكلة بكلّ حيثيّاتها وأبعادها، ويحاولان الوصول إلى حلٍ لها، فإن وجدا إمكانية لإعادة الوفاق والتّفاهم بين الزوجين، فهذا بيت القصيد، وإن وجدا أن الخلاف عميق ولا يمكن إزالة أسبابه، أوصَيا بالطلاق، لأنه لا يمكن أن تستمر الحياة الزوجية في ظلال الخصام والتناحر والنزاع، لأن مثل هذه العلاقة لن تحقّق أهداف الشرع من وجودها، والأولى الفصل بين هذين الزوجين، فلعل المرأة تجد رجلاً غيره تستطيع أن تتعاون معه على تحقيق مقاصد الزواج، ولعل الزوج يجد زوجة تتعاون معه، وبذلك يكون الطلاق خيراً على الطرفين وعلى المجتمع.

رابعاً: إتباع وسائل تنمية المحبة بين الزوجين.

المحبة بين الزوجين من أهم دعائم بناء الأسرة الصالحة ، فلا بد للزوجين أن يفعلا كل فعل تزداد به محبة أحدهما للآخر ، حتى تكون الأسرة محاطة بالدفء والحنان ، ويشعر الأبناء أنهم في كنف آمن ، وبالمحبة تستقر الأسرة ، ويقوم كل من الزوج والزوجة بدوره المنوط به على أكمل وجه ، وحتى نحد من ظاهرة الطلاق هنالك وسائل معينة على تنمية المحبة بين الزوجين، وتطفي على الحياة الزوجة الأنس والمحبة، فحري بالزوجين أن يتبعاها حتى لا يقع ما تحمد عقباه، ومن هذه الوسائل الآتي :

١. تبادل الهدايا، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (تهادوا تحابوا) فالهدية لها وقعها في النفس مهما كانت صغيرة ، فالنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، فلا بد من تبادل الهدايا بين الزوجين حتى يكونا متحابين .

٢. تخصيص وقت للجلوس معا، فالمرأة ضعيفة، وبالزواج أصبحت كالأسيرة، فلا بد للزوج أن يخصص وقت للجلوس معها حتى يزيل عنها وحشتها وغربتها.

٣. نظرات الحب والإعجاب، فعلى الزوجين أن يتزين كل منهم للآخر حتى يعجب كل منهم بصاحبه.

٤. التحية والوداع الحار عند السفر والقدوم.

٥. الثناء والغيرة على الزوجة ، فإن الثناء على الزوجة يبعث في نفسها النشاط والهمة والنفس البشرية مجبولة على حب الثناء ، وكذلك الغيرة على الزوجة مطلوبة من غير إفراط ولا تفريط .

٦.الاشتراك في أعمال المنزل، وقدوتنا في ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فكان دائما يكون في خدمة أهله كما قالت عائشة رضي الله عنها:(كان يكون في مهنة أهله فإذا سمع الأذان خرج).

٧. الكلمة الطيبة، فالكلام الطيب يسر الفؤاد ويشرح النفس، خاصة مع الزوجة، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يلاطف زوجاته.

٨. النزهة القصيرة، فرياضة النفس وترويضها بالمباح، يعين على العبادة والطاعة: (ولكن ساعة وساعة).

٩. الجلسات الهادئة للحديث والحوار والنقاش، فإشراك الزوجة في نقاش الأمور التي تخص الأسرة، يجعلها تحترم الزوج وتحبه، لأنها تستشعر أن دورها مهم، خلافا للذين لا يجلسون مع زوجاتهم ولا يشاورونهن في أهم الأمور الزوجية.

١٠. التوازن في الإقبال والتمنع، على الزوجين أن يقدر كل منهما مشاعر الآخر في الإقبال والتمنع.

١١. التفاعل من الطرفين في وقت الأزمات ، على الزوجين التعاون فيما بينهما في وقت الشدة والأزمات ، ولا يظهر أحدهما الفرح إذا أصيب الآخر بالحزن ، ولا يظهر الحزن إذا كان الآخر مسرورا ، فإن ذلك أدعى للتخاصم والتدابر .

١٢.التجديد ومحاربة الروتين ، النفس دائما ملول ، لا تهنأ بحال واحد ، فعلى الزوجين الاهتمام بالتجديد ومحاربة النمط الواحد .

١٣. الملاطفة (اللمس . التقبيل . الكلام الجميل) .

١٤. المصارحة والتنفيس وعدم الكبت.

١٥. نداء الزوجة بأحب الأسماء إليها .

١٦ . الانسجام والاستمتاع .

١٧. الشكر والثناء، فالزوجة تحب الشكر والثناء، والإطراء والمدح من زوجها.

١٨. التقاضي عن الزلات .

١٩. الاحترام والتقدير .

٢٠. النظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع زوجاته رضي الله عنهن.

نماذج سلوكية

د. يوسف عثمان محمد

فبما كسبت أيديكم

تقدم أن المولى ، عزّ وجلّ ، نهى عن أنماط السلوك التي تمثل ارتباطًا بخطوات الشيطان ، أو تقليدًا لغير المسلمين ، ولما خالف المسلمون هذا النهي قادهم الشيطان خطوة بعد خطوة في طريق الانحدار ، والشيطان الذي أقسم في الأزل أن يجتهد في قيادة الجنس البشري إلى طريق الغواية وجد في اليهود والنصارى حرصًا على حرب المسلمين ، فوضع يده في يدهم من أجل حرب المسلمين منذ أن صدع بها الرسول صلى الله عليه وسلم.

سنحاول أن نورد نماذج من السلوك على غير ترتيب إلا ترتيب ورودها في الخاطر، فنبدأ بما كان عليه حال الأمة الإسلامية حتى بداية القرن العشرين ،حيث كانت تحت مظلة الخلافة الإسلامية التي تمثل رمز الأمة الواحدة، على ما اعتراها من ضعف، وكان العالم الإسلامي رقعة جغرافية واحدة، يتمتع بحرية حركة الموارد بين أجزائه، وكانت الموارد تنقل بين أجزائه في حرية لا قيد عليها، ومما يحضر من أمثلة على حرية حركة الموارد، ما كان يتمتع به العنصر البشري من حرية في الحركة بين أجزاء العالم الإسلامي، ينشر الخير، ويبني النهضة، والسودان واحد من الأمثلة التي وفدت إليها عناصر بشرية من مختلف بلاد الدنيا، حيث نلاحظ كثيرًا من الأسر التي لا تزال تحتفظ بنسبها لبلد غير السودان، وفي الوقت نفسه الذي تقيم فيه على أرض السودان دون أن يجرؤ أحد على الطعن في أنهم سودانيون، ولا في نسبتهم إلى بلدهم الأم؛ فبيننا من يسمى المغربي وبيننا من يدعي ... ، وبيننا من يسمى الشامي وبيننا المكي ، والمدني ، واليمني ، وبيننا من وفد من المجر ، أو من غرب أفريقيا إلخ تشير هذه الأمثلة إلى تماسك النسيج الاجتماعي لأمة الإسلام الذي وصانا الله تعالى بصيانته، والحرص عليه في قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا) وهي إشارة إلى أن الرابط بين عناصر المجتمع وأطراف الأمة هو حبل الله ، الذي يصفه الشاطبي رحمه الله بقوله:

وبعد حبل الله حبا كتابه
فيا هديه حبل الذي متحبلا

وقد قطع الله العلاقات بين عناصر المجتمع إذا لم تكن قائمة على هذا الأساس ، فلا تنفع علاقة أبوة أو بنوة ، ولا علاقة زواج أو مصاهرة ، ولا علاقة أخوة إذا انقطع هذا الحبل وانتهت هذه العلاقة.

فما حالة العلاقة بين مسلمي اليوم؟

نرجو الله أن يوفقنا للبيان ونساله أن يرد المسلمين إلى دينه ردًا جميلاً إنه ولي ذلك والقادر عليهن وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.